البرتغال ودورها في تجارة الرقيق وامتداه إلى قيام مستعمراتها في افريقيا

د. امحمد عطية محمد يحي

كلية الآداب والعلوم / قصر الاخيار جامعة المرقب / ليبيا

Eaelhamdi@elmergib.edu.ly

الملخص:

يعد الرق وتجارة الرقيق ضمن أسوأ انتهاكات حقوق الإنسان في تاريخ البشرية، فقد كانت تجارة الرقيق عبر الأطلسي أمرا فريدا في تاريخ الرق ويرجع ذلك لطول امدها (اربعمائة سنة) وحجمها الذي قارب على 17 مليون انسان باستثناء أولئك الذين لقوا حتفهم في اثناء نقلهم ، مع ما يضاف إلى الشرعية التي تضمنتها قوانين تلك الفترة ، وبدا البرتغاليين اول امرهم بتلك التجارة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، بهدف الحصول على ما يلزم سفنهم للوصول إلى الشرق الأقصى، ثم تطور الأمر إلى إنشاء مراكز تجارية على طول الساحل الافريقي الغربي ثم أصبحت مراكز لصيد الإفارقة ، هذه التجارة التي لقت رواجا في أوروبا والبرتغال بوجه خاص ، وتطور الامر من نواحي تقليدية كانت تعتمد على ما يؤمنه زعماء القبائل الافريقية الموالين لها ولوكلائها في السواحل مقابل بضائع وسلع ، فعمدت على زيادة وكلائها الموردين وزيادة عدد القلاع والحصون، كذلك بدأت تؤسس شركات لذات الغرض وحصلت على احتكارات مما جعل هذه التجارة اكثر بشاعة خصوصا أنها أوكلت إلى تجار لم يكن يهمهم سوى الربح ، ولم تكتفي بالعبيد المجلوبين من السواحل، بل توغلوا إلى الدواخل بحثا عن العبيد في الكونغو، أنجولا ،نيجيريا، جزيرة ساتومي ، بينين ، ومن ثم انتقلت التجارة إلى باقي الدول الاوربية وأصبحت هذه التجارة حقلاً للمنافسة بينهم للحصول على الربح والايدي العاملة .

Abstract:

Slavery and the slave trade are among the worst violations of human rights in the history of mankind. The transatlantic slave trade was unique in the history of slavery due to its long duration (four hundred years) and its size approaching 17 million people, excluding those who died during their transportation, with the addition of To the legitimacy contained in the laws of that period, and the Portuguese began their first order in this trade in the second half of the fifteenth century, with the aim of obtaining what was necessary for their ships to reach the Far East, then the matter developed into the establishment of commercial centers along the West African coast, and then they became centers for fishing The Africans, this trade that gained popularity in Europe and Portugal in particular, and the development of the matter from traditional aspects was dependent on what was secured by the African tribal leaders loyal to them and their agents in the coasts in exchange for goods and commodities. purpose and obtained monopolies, which made this trade more hideous, especially as it was entrusted to merchants who were only interested in profit, and it was not satisfied with the slaves brought from the coasts, but rather they penetrated to the interior in search of money

Slaves in Congo, Angola, Nigeria, Sao Tome Island, Benin, and then trade moved to trade to the rest of the European countries and this trade became a field for competition between them to obtain profit and labor.

- **مقدمة:**

عانت القارة الإفريقية على مدي تاريخ طويل من الإبادة الجماعية التي حملتها تجارة الرقيق التي تعد جريمة ضد الإنسانية استهدفت الإنسان الإفريقي دون سواه ، فهي من أخطر الظواهر الشاذة التي عرفتها البشرية في عصرها الحديث ، فكلنا نعلم أن تجارة الرقيق عرفت في العالم بعديد الإشكال والأنماط وعند الكثير من الأمم والشعوب والحضارات عبر فترات تاريخية متباينة في تاريخ الإنسان لكنه لم تصل ي مجملها إلى أن تقارن بما حدث في قارة أفريقيا فهي ارتبطت مع أطماع المستعمر والأوربي من خلال الكشوف الجغرافية التي وجهت لنهب مقدرات القارة الاقتصادية والبشرية على حدا سواء .

هذه التجارة التي كانت لها الكثير من الآثار السلبية التي ساهمت في تعطيل النمو السكاني الاجتماعي بما حملته من معاناة للملايين من سكان هذه القارة الذين أصبحوا أيدي عاملة ، وهنا لابد أن نشير إلى أمر بالغ الخطورة وهو ان التوغل الاستعماري في دواخل القارة الذي ما كان له ان يحقق نجاحاً لولا بعض الزعامات المحلية ممن أعمت عيونهم عن فهم طبيعة ذلك الأمر بعد أن سيطر عليهم الشجع والطمع فساهموا في استرقاق الآلاف من بني جلدتهم بل أنهم في الكثير من الأحيان هم من كانوا يقبضون على إخوانهم ويسوقونهم إلى الشواطئ تحت لهيب السياط أو باستخدام البنادق التي منحها لهم الأوربيون ، فقد كانت هذه القارة محط أنظار الطامعين من الشعوب الأوروبية خاصة بعد انطلاق عمليات الكشوف الجغرافية وإنشاء المراكز التجارية الأوروبية على طول السواحل الإفريقية وبشكل خاص الغربية منها أول الأمر من سواحل (الكونغو – انغولا) بداية من القرن 15 م، وقد لعبت البرتغال دوراً كبيراً في ظهور ومعرفة وانتشار هذه الظاهرة البشعة والتجارة غير الإنسانية عبر استخدامهم علاقاتها التجارية مع موانئ المتوسط والموانئ المشار إلها سابقاً ، بل وأصبحت عاصمتها (لشبونة) ميناء تجارياً هاما ساهم وبشكل كبير في انتعاش هذه التجارة بفضل أساطيلها وتم شحن الرقيق من غرب القارة وتحديداً من ميناء (لوندا) الذي أصبح اكبر موانئ تجارة الرقيق في غرب القارة إلى أوروبا وأمريكا وغيرها من موانئ العالم ، فكانت البرتغال بحق رائدة في هذه المجال غير الإنساني وقد استمرت هذه التجارة البشعة وانتعشت بما تحمله من جرم وعدم إنسانية طوال القرون (16 . 17 . 18) بما تحمله من أرباح طائلة مما دعي باقي الدول الاستعمارية أمثال (هولندا، انجلترا ، فرنسا، أمريكا ، اسبانيا) إلى حذو البرتغال ومنافستها للحصول على الأرباح والأيدي العاملة و استمرت تلك المرحلة طويلاً قبل أن يصحو ضمير الإنسانية وتعالت الأصوات التي نادت بضرورة إنهاء هذه التجارة البشعة وذلك ما حدث فيما بعد .

- **بدايات تجارة الرقيق :**

كانت حركة الكشوف الجغرافي الأولي تهدف إلى للوصول إلى الشرق بغية السيطرة على البضائع التي تعبر مناطق مصر والشام إلى البحر المتوسط وصولا إلى الموانئ الأوربية وتنوعت البضائع (كالعطور ، والعاج ،

والتوابل ، والبخور ، والبن ، والاقمشة الحريرية ، والسجاد ، والاحجار الكريمة ، والاخشاب) ، لذلك ومع أتجاه البرتغال إلى أنشاء مراكز تجارية وحصون عسكرية على طول الساحل الغربي للقارة بغية الحصول على العاج والذهب والصمغ الإفريقي ، هذا المسعى اقترن وامتزج مع العامل الديني الذي رافق البرتغاليين في مسعى لنشر المسيحية وأبعاد الأفارقة عن الوثنية وهنا ظهرت حقيقة ذلك المسعى (**سليمان ، 2012 ، 34**) ، كذلك كانت الغاية تسير في اتجاه آخر وهو الحصول على أيدي عاملة لتعمير العالم الجديد ، لذلك تم شحن أول شحنة نحو لشبونة بعد أن تم خطف بعض الإفارقة وعددهم (10 أفراد) عن طريق أحد الضباط البرتغاليين ويدعي أنتام جونز الفز (Antam Gonc lves) ، من الساحل الغربي الإفريقي لتزيد الأعداد فيما بعد على نحو تصاعدي بغية تحقيق أعلى معدلات الربح ، ومع اكتشاف طريق الرجاء الصالح سنة 1445 م كانت الوكالة البرتغالية بمنطقة ارجيوم (Argium) أصبحت المركز الرئيسي لتجارة الرقيق على طول الساحل الغربي للقارة (**زغلول ، 1973 ، 129**) .

وشارك الأمير هنري الملاح (1394 – 1460 م) في هذه التجارة عندما أحضر عدداً من الرقيق الإفريقي وأخذ يشجع في هذه التجارة بغية الحصول على العوائد المجزية ، وتوسعت وازدهرت هذه التجارة بشكل كبير عندما تم اكتشاف الأميركيتين حيث صارت هذه التجارة الإفريقية تعني تجارة البشر (**شعبان ، 2013 م ، 226**) .

- **البرتغال ودورها في تجارة الرقيق :**

كما أشرنا فقد أخذت البرتغال المبادرة لهذه التجارة قبل غيرها من الدول الأوربية لجملة من الأسباب فقد استكملت وحدتها واستقلالها في القرن الثالث عشر مع الحماسة الدينية المبالغ فيها الذي ساعدها كثيرا في نشر المسيحية واهتمام الملك يوحنا [1] ، إضافة إلى موقعها الجغرافي الذي منحها أسبقية عن باقي الدول الأوربية ، عليه فقد اتخذت من مناطق غرب القارة موانئ لنقل الرقيق عبر ارجيوم ثم سانتياجو (Santiago) قرب الرأس الأخضر و سأوتومي (Saotome) في خليج غينيا وهي محطة مهمة بسبب وجودها على الطريق المؤدي لأوروبا وجنوب القارة الإفريقية وامتدت إلى غينيا وبنين في عام 1486 م .

فالبرتغاليون هم من أسس تجارة الرق بكل مسأوئها في العصر الحديث ، فأصبح الساحل الغربي لأفريقيا سوقاً للأيدي العاملة التي يحتاجها الغرب لتعمير مستعمراته في العالم الجديد وقد احتكرت البرتغال هذه التجارة حتى نهاية القرن السادس عشر ، وتوسعت كذلك لكي تشمل المنطقة الجنوبية من القارة حيث استولت على أنجولا ووصلت شرقاً بفضل رحلات (فاسكو دي جاما) الذي قام برحلتين عام 1497 م في أربع سنوات

[1] استولي يوحنا الأول على سبته عام 1415 م واقتطعها الى ابنه الأمير هنري الملاح المعروف بحقده وكراهيته للإسلام والمسلمين .

ووصل إلى رأس الرجاء الصالح وتتابعت الرحلات ووصلوا إلى موزمبيق ومصب نهر الزمبيزي . (**الجمل– أو ، 1987 ، 22**) .

واصل البرتغإلمون توسعهم في شرق القارة فاستولوا على سفالة وكلوة التي قأومتهم بشدة قبل سقوطها بعد أن عاثوا فيها نهباً وقتلا ، بعد أن فتكوا باهل (ممبسة) التي يسكنها الكثير من العرب وبذلك سيطروا على جل القواعد العربية في شرق القارة عام 1506 م كم استولوا على(لامو وبرأوة وجزيرة سومطرة) وفي عام 1507 م على موزمبيق وبسطوا نفوذهم على جزء كبير من سواحل القارة الغربية والشرقية وارتكبوا فضائع كبيرة في شرق القارة ضد العرب كما فعلوا في غربها مع الإفارقة في تجارة الرقيق وقد اتسم هذا الاستعمار البرتغإلى بجملة من الخصائص على النحو التالي :

- **أولا** : ارتبط العامل التاريخي بالعامل الديني خصوصا بعد طرد المسلمين من الأندلس فقد سعوا إلى تعقب المسلمين إلى شمال إفريقيا للقضاء على مراكز وجودهم ومحأولة تطويقهم من الجنوب في مسعى للقضاء على الإسلام ونشر المسيحية مع الاستفادة من الحصول على الرقيق ، هذه المساعي حصلت على دعم المؤسسة البابوية من خلال منحهم مراسيم متلاحقة يخولون فيها ملوك البرتغال حق ملكية أي إقليم أو بحر جديد ، ولا ادل على ذلك أن أصدر البابا نيقولا الخامس في عام 1454 م مرسوماً منح بموجبه هنري الملاح الحق في أن يغزو ويحتل ويخضع الشعوب والأقإلم التي يسودها حكم أعداء المسيح (**سليمان ، 2012 م ، 45**) ، وللإشارة هذه المساعي استهلت باحتلال قاعدة سبته المغربية عام 1415 م خلال حكم الملك الأول الذي اقتطعها لولده فيما بعد هنري الملاح الذي عرف عنه حقده وكراهيته للإسلام والمسلمين .
- **ثانيا** : هذه المساعي الاستعمارية لسواحل القارة الإفريقية حققت أرباح هائلة خاصة مع اكتشاف طريق الرجاء الصالح والقضاء على قوة المماليك في معركة (ديوم) البحرية عام 1509 م فمنحتهم المزيد من الثروات بالإضافة إلى تحكمهم في الطريق البحري عبر راس الرجاء الصالح .
- **ثالثا** : مساعي المستعمر البرتغإلى اقتصرت على السواحل ولم تغامر بالدخول إلى مداخل القارة لأنها تعلم فداحه ذلك الأمر عليها ، فسعت إلى تركيز جهودها في السيطرة على السواحل البحرية ، وعندما قررت التوغل في الدواخل انهارت دولتها (**الجمل – أو ، 1987م ، 23**) .
- **رابعا** : اقترن استعمار البرتغال بالقارة الإفريقية بصفحة سوداء حيث كانت أول من حمل الرقيق الإفريقي إلى بلاده عام 1415 م واستغلاله كتجارة ومورد مربح من خلال جلبهم لزراعة الأراضي في العالم الجديد بدون رغبة منهم ، مع الإضافة إلى استغلالهم وسيطرتهم على تجارة الشرق واحتكار الكثير من السلع مما سبب خسارة كبيرة للتجار المسلمين .
- **خامسا** : لم تسع البرتغال إلى النهوض أو تقديم أي مساعدة تذكر لكل تلك المناطق الإفريقية التي وقعت تحت سيطرتها بل بالعكس مارست كل صنوف الطغيان والتدمير تجاه المدن الإسلامية بوجه خاص في شرق القارة مما

أوجد مقأومة عنيفة ضدها ، ولابد أن نشير إلى أن انحسار النفوذ البرتغإلى وعدم قدرته على التغلغل بشكل كبير **في القارة الإفريقية مرده جملة من الأسباب منها :**

1- قلة عدد سكانها حيث لم يتجأوز عددهم المليون نسمة وهذا بكل تأكيد لم يسمح لهم بأرسال اعداد كبيرة من قوتهم إلى هذه المستعمرات ناهيك عن ان الأنظار في تلك المرحلة كانت ترتكز على استعمار المناطق الواقعة في البرازيل ومستعمراتها الزراعية هناك . (**ظاهر ، 1989 م ، 153**) .

2- كانت استراتيجية البرتغال ترتكز على أن النقاط الساحلية باعتبارها مناطق رسو لسفنها لتزويدها بما تحتاج لذلك لم يكن في قدراتها أو رغبتها التوغل في الدواخل لمعرفتها بعدم قدراتها المادية والمعنوية .

3- ساهمت سياستها العنيفة والتعسفية غير الإنسانية مع الإفارقة إلى تطور الامر لمقأومتها بشكل قوي من قبل الإفارقة مما اضعف قدرتها مع الإشارة إلى أن البرتغإليين لم يكن لهم سياسة واضحة أو موحدة تجاه مستعمراتها حيث ظهرت خلافات بين السلطة المركزية الحاكمة وبين التجار وأصحاب الإقطاعيات ورجال البعثات التبشيرية

4- دخولها تحت النفوذ الإسباني عام 1580 م بعد احتلالها من قبل الملك فليب الثاني ولمدة 80 عاماً ، مما أدى إلى اضعاف هيبتها أمام المستعمرات وأمام منافسيها من باقي الدول الأوربية الذين طمعوا في ممتلكاتها التي عجزت أسبانيا عن الدفاع عنها ، ومع سعى البرتغال خلال القرن التاسع عشر إلى تعويض ذلك من خلال التوعل إلى دواخل القارة الإفريقية بعد اكتشاف حوض الزمبيزي من قبل (لفنجستون) لكن إنجلترا وقفت ضدها ومنعتها من الاستمرار في ذلك الامر وحرمتها من السيطرة على جنوب القارة ، كما أن المقأومة المغربية كان لها دوراً مهماً في القضاء على أحلام البرتغال في مواصلة تلك المساعي الاستعمارية حيث نجحت الدولة السعدية في القضاء على الوجود البرتغإلى في شمال القارة بعد الحاق الهزيمة بقواتها في معركة وادي المخازن سنة 1587 م وقتل ملكها جون سبستيان (Join Sabastian) فكانت بداية النهاية للنفوذ البرتغإلى الذي اقتصر على مناطق أنجولا ، موزمبيق ، غينيا التي عرفت فيما بعد بغينيا البرتغإلية تميزا لها عن غينيا الفرنسية . (**الجمل – أو ، 1987م ، 26**) .

- **النتائج المترتبة على التوسع البرتغإلى بعد كشف الرجاء الصالح :**

أ : النتائج السياسية :

فتحت أمامهم الطريق إلى الشرق التي كانوا يطمعون في ثرواتها وبشكل خاص بلاد الشام ومصر والحجاز وساحل إفريقيا الشرقي ، فحقق لهم السيادة البحرية التي أثرت على تلك الدول خاصة وإن النفوذ البحري كان يحسب لدولة الممإلك طوال القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر وهذا شكل مساس كذلك بالوسطاء الذين ينقلون تلك التجارة وخاصة تجار البندقية ومدن البحر المتوسط الآخرى ، لذك كان لتحول التجارة عبر طريق الرجاء الصالح قد شكل انتكاسا خطيراً على اقتصاديات تلك الدول مما أدى إلى انهيار مواردها ، فبات من الطبيعي أن تتحالف فيما بينها ضد البرتغال فحدثت معركة ديو (Diu) بين الأسطول البرتغإلى والأسطول المشترك بين الممإلك من والبندقية سنة 1509 م والذي أسفر عن هزيمتها مما اعتبر ذلك

انتقال للسيادة البحرية التي حرم العرب من أي نشاط تجاري في هذه المياه ولفترة طويلة ، إضافة إلى نجاح البرتغال في الاتصال بملك الحبشة المسيحي (**سليمان ، 2012 م ، 50**) .

ب: النتائج الاقتصادية:

أسفر هذا التحول الاقتصادي إلى فقدان مصر وبلاد الشرق لمواردها الاقتصادية من خلال تحول التجارة إلى رأس الرجاء الصالح ، فالبرتغإلون احكموا حصارهم البحري على البحار العربية الداخلية وتأتي تلك الخطوات بسبب ضعف الممإلك في مصر والشام بالرغم من محأولاتهم صد تلك المحأولات لكنهم تعرضوا إلى هزيمة بحرية في معركة ديو 1509 م ، وزاد من سوء الامر دخول القوة العثمانية على المشهد حيث أحكموا السيطرة على مناطق بلاد الشام عام 1516 م ومصر عام 1517 م والحجاز التي دخلت سلمياً تحت النفوذ العثماني مما أدى إلى مواجهات مع البرتغإلين في فترة السلطان سليمان القانوني ، فسعى البرتغال إلى ترويج بضائعهم في الطريق الجديدة بعد أن أقاموا أسواقاً تجارية في مدينة سينا (Sena) التي أصبحت المركز الرئيسي لتجارة منطقة الزمبيزي ، لذلك عملوا على عقد العديد من الاتفاقيات مع مشائخ والزعماء المحليين في تلك المناطق بغية السيطرة على منابع الثروات المتمثلة في الذهب والفضة لكنهم دخلوا في صراعات مع تلك الزعامات مما ادي إلى خسارتها العديد من جهودها وقواتها . (**سليمان ، 2012 م ، 50**) ، ناهيك عن ظهور طبقة اقطاعية تمثلت في رجالات الدين وأعضاء البعثات الاقطاعية بسيطرتها على الكثير من الأراضي الزراعية الخصبة حول نهر الزمبيزي باستخدام القوة أو من خلال شرائها من الزعمات المحلية ، هذا الطبقة ابتعدت عن مشروعها الأصلي الديني .

ج : النتائج الدينية :

يعتبر هذا الدافع اهم المرتكزات التي استندت عليها البرتغال من خلال محأولتها الكشفية والرحلات في السواحل البحرية ، فكل يعلم ان بعد خروج العرب من الأندلس بدأت تلك الرحلات الكشفية بمثابة امتداد للحملات الصليبية ، فعند وصولهم إلى أثيوبيا ظهرت محأولاتهم في نشر المذهب الكاثوليكي ، ويتضح ذلك جليا في مسعى فاسكو جاما التجاري والتبشيري من خلال اقتفاء طريق البعثات التبشيرية من خلال إقناع السكان بالمسيحية حيث استطاع الرهبان الدومينيكان من الحصول على دعم بعض الزعماء المحليين على طول نهر الزمبيزي يل انهم أنشأوا في الهند مدرسة للاهوت لتعليم عدد من الشباب الإفارقة للعمل لنشر المسيحية ، لكن لا ننسى ان العديد من رجالات الدين اتجهوا إلى السعي للحصول على إقطاعيات كبيرة من خلال اشتراكهم في تجارة الرقيق لذلك فشلت التغطية التي حأولوا الدخول منها تحت غطاء تقديم الخدمات الدينية والتعليمية أو الصحية . (**سليمان،2012م،52**).

د.النتائج الثقافية:

تحول طرق التجارة كان لها انعكاس واضحاً وجلياً على مجمل الأمور ومن بينها النواحي الثقافية ، فعزل المنطقة العربية في الجزيرة العربية ومصر ، وبالرغم من الذرائع التي ساقها المستعمرون بالأخذ بأيدي أهل البلاد إلا

أن ذلك الأمر لم يعد كلام فقط فكانت الإرسإليات تنفذ ما جاءت من أجله وهو نشر ثقافتها ودينها المسيحي في جعل الإنسان الإفريقي تابعاً لا يفقه شيئا في أمور حياته ومجتمعه ، واكان اتجاه الحكام البرتغإليين في مستعمراتهم الإفريقية كما عبر عنها حاكم موزمبيق العام فريردا أندريد 1906 م – 1910 م بقوله (بأن التعليم الإفريقي يجب أن ينحصر في إعداده ليكون عاملاً ينفذ الأوامر والعمل الذي يكلفه به الأوروبي فحسب دون تفكير أو تصرف) (**الجمل ، 1971 م ، 53**) .

- **مراحل تجارة الرقيق:**

لابد أن نجمل الخطوات التي سارت عليها هذه العملية الاستعمارية البشعة التي أزهقت الأرواح ودمرت الأرزاق في هذه القارة وقد مرت تجارة الرقيق بثلاث مراحل على النحو التالي:

- **المرحلة الأولي:** مارسها البحارة المغامرون والقراصنة القادمين من أوروبا بشكل خاص حيث نقلوا العبيد الإفارقة دون موافقة أو تدخل من حكومات بلدانهم وبهذه الطريقة تمت العملية منذ القرن 15 م وتواصلت إلى حد سنة 1580 م (**عاطف، 2002، 23**).
- **المرحلة الثانية** : بدأت اعتبارا من سنة 1580 م بظهور مؤسسات وجمعيات تحتكر هذه التجارة وقد أخذت الصفة غير القانونية قبل اعتراف حكوماتهم بها ، وهنا يجب الإشارة إلى أن هذه التجارة انتقلت من أيدي القراصنة والمغامرين بشكل غير منتظم إلى أيدي التجار الأثرياء بحيث أصبحت منظمة وتحت قيادة عسكرية وتوسعت هذه التجارة كذلك بحيث شملت سواحل غينيا الاستوائية وغينيا بيسأو وتعدتها إلى أعماق القارة (**سلاماني ، 2015م ، 207**) ، وقد جنى هؤلاء أرباح كبيرة من هذه التجارة ، ويلاحظ من الجدول التالي تنامي الأعداد المبالغ فيها من الإفارقة الذين تم ترحيلهم عبر هذه التجارة البشعة والتي ساهمت في حصول الدول الاستعمارية على أرباح كبيرة .

السنوات	عدد العبيد الإفارقة المحولين	النسب المئوية
1500 – 1450	81000	0.6
1600 - 1501	338000	2.6
1700 - 1601	1876000	14.6
1800 - 1701	645000	50.7
1900 – 1801	4027000	31.4
المجموع:	12818000	

راجع: عبد القادر سلاماني، تجارة الرق في أفريقيا الغربية، ص 209.

- **المرحلة الثالثة:**

في القرن السابع عشر حيث بدأت تظهر تدريجيا انخفاض لهذه التجارة بالرغم من أنه واعتباراً من 1689 م أصبحت تمارس يدون قيود ولا معارضة في جميع الأراضي مما أدى إلى تقليص حصة الشركات الأوربية التي اختصت بتلك التجارة وزادت حدة المنافسة فيما بينها في محأولة إلى اقتناص اكبر عدد من البشر الرقيق ، ومع

منتصف القرن الثامن عشر بدأت تظهر بوادر تقليص هذه التجارة مع ظهور الرسمإلة والاعتماد على الآلة الصناعية في أوروبا الأمر الذي جعل الأنظار تتجه إلى محأولة التقليل من هذه التجارة بشكل جزئي حيث سعت إنجلترا إلى إنشاء مستعمرة لها في أفريقيا للعبيد المحررين (سيرإلون) ، وكذلك الحال مع بعض الولايات الأمريكية التي تقلصت فيها التجارة ، ومع الدعوات التي بدأت تدعو إلى منعها بشكل نهائي مثل ولاية (فرجينيا) 1782 م ، وولاية نيويورك ونيوجرسي وبنسلفانيا وصولا إلى سنة 1789 م (سلاماني ، 2015 م ، 208).

مناطق الإنزال الإفريقية		عدد العبيد الإفارقة المرحلين	النسب المئوية
لوندا	Luanda	2.826.000	22.6
ويدة	Ouidah	1.004.000	8.0
بانغولا	Benguela	764.000	6.1
كابيندا	Cabinda	733.000	5.9
بوني	Bonny	672.000	5.4
مالومبو	Malembo	12818000	4.4
انومابي	Anomabu	466.000	3.7
لوانغو	Loango	418.000	3.3
كلبار القديمة	Old calabar	412.000	3.3
غانا	Castle ape costc	318.000	2.5
الموزمبيق	Mozambique	293.000	2.3
نهر الكونغو	Congo River	276.000	2.2
نهر غامبيا	Gambia River	258.000	2.1
المينا	Elmina	255.000	2.0
أوفرا	Offra	231.000	1.8
لاغوس	Lagos	230.000	1.8
أمبريز	Ambriz	206.000	1.6
كليمان	Quilimane	159.000	1.3
سيرإلون الشرقية	Sierra Leone Estuary	148.000	1.2
سان لويس	Saint Louis	145.000	1.2
المجموع	Total :	10.285.000	82.1
مواقع الإنزال ال 192 points	All embarcations	12.521.000	17.9

راجع : عبد القادر سلاماني ، تجارة الرق في إفريقيا الغربية ، ص 210 .

- **مناطق تبادل الرقيق :**

استغل الأوروبيون كل الوسائل لاسترقاق الإفارقة من خلال استخدام القوة العسكرية بالمؤازرة مع تحويل التجار للعبيد عبر السواحل والمتاجرة بحملات الاسترقاق ، فظهرت مناطق (أرغين ، غوري ، المينا ، سأوتومي ، لوندا) ، واحتكرت تجارة العبيد على طول الساحل الإفريقي عن طريق الشركة الروانية سنة 1626م ، وبعد أن واجهت شركات الرأس الأخضر والسنغال صعوبات ، أنشئت فيما بعد شركة الهند الغربية سنة 1664 م واحتكرت تجارة العبيد مدة أربعين عاماً من الرأس الأخضر وصولا إلى رأس الرجاء الصالح بالإضافة إلى جزر

الإنتيل ، ثم أنشئت شركة السنغال خلال سنوات 1672 م – 1681 م ، كما حصلت شركة المغامرين الملكيين وأعضائها من الطبقة الملكية سنة 1661 م على امتياز حصري لتجارة الرق من الرأس الأبيض حتى الرجاء الصالح. (**فيج جي ، 1982 ، 143**) ، كما أتاح البرلمان الإنجليزي سنة 1697 م لجميع أفراد المملكة حرية المتاجرة بالرق ، فأدي ذلك إلى تزيدها بشكل كبير حيث قامت الشركة الملكية خلال الفترة 1680 م – 1689 م بإرسال 259 سفينة محملة بعدد 46396 شخصا تم استرقاقه ، في حين تمكن التجار الخواص من استرقاق 42 ألفا خلال الفترة ما بين 1698 م – 1700 م وشحنهم إلى جامايكا ، ويجب أن نشير إلى ان اسبانيا هي الآخرى منحت امتيازات احتكارية خاصة لبعض الأفراد والبلدان لشحن عدد محدد من الرقيق إلى مستعمراتها الأمريكية سنة 1518 م ، حيث منح (شارل كينت) الامتياز إلى كل من الفلامنك والجنوبيين والبرتغاليين والانجليز .(**جوزيف كي ، 2000 م ، 328**) ، كما وقعت شركة غينيا البرتغالية سنة 1696 م عقد بموجبه شحن عشرة ألاف من الرقيق .

استغلت في عمليات النقل الكثير من السفن البحرية التي زودت بتجهيزات خاصة من قيود وسلاسل ومسامير وجسور للسيطرة على الرقيق وتكديسهم في أضيق مساحة ممكنة ، واتبع قادة هذه السفن العديد من الإجراءات بغية المحافظة على الرقيق مثل معالجة تقرحاتهم بحجارة الزاج ، والغرغرة بعصير الليمون لتفادي الإصابة بداء الحفر ، وشكلت هذه السفن عبر الأطلسي تجارة ثرية وتخصصت مرافئ (نانت ، بوردو ، سانت مالو، ليفربول) ، في تجارة الرقيق . (**جوزيف كي ، 2000 م ، 330**) ، وكانت مراكز الوكالات التجارية بالساحل الإفريقي عبارة حاميات عسكرية مصغرة تعمل على تسريع شحن السفن لاحتوائها على مستودعات العبيد الجاهزين للشحن ، ومع وجود الأمراء المحليين المحيطين بتلك المراكز والذين كانوا يفرضون حقوقاً مرتفعة الكلفة ، كم كانت مكان لاجتماع السماسرة والوسطاء من كل الجنسيات ، فالسماسرة الإفارقة كانوا يدفعون إتأوات في سانت مالو إلى جانب المراسيم والمعاملات التي يلجأ إليها التاجر مقابل الحصول على العبيد مثل الهدايا ، والضريبة التي تدفع للملك مقابل كل رأس هي ثمن أولوية الحق في شراء عبيد بعض الأمراء وعمولة السماسرة . (حمدان ، 1983 م ، 104) ، مع تفضيل بعض التجار مثل الفرنسيين الانطلاق بشكل ارتجالي من السواحل الإفريقية لعدم توافر مراكز مستقرة أو قانونية على الساحل الإفريقي ، وكانت تلك المراكز تقع في الجزر التي يسهل الدفاع عنها أو في المرتفعات القريبة من الشاطئ مثل (أرغين ، غوريه ، جزر لوس ، فرناندو ، ساتومي ، لوندا ، وكان طاقم تلك الجزر قليل العدد مع وجود الورش لصناعة السفن وترميمها . (جوزيف كي ، 2000 م ، 331) .

- **وضعية الرقيق الإفريقي أثناء عمليات الترحيل :**

تعرض الرقيق الإفريقي لكل أنواع الذل والهوان والمعاناة أثناء عمليات الترحيل ، فقد كانوا يطردون من أراضيهم ويعاملون وكأنهم حيوانات بشرية تباع وتشتري ويساقون من أعماق القارة الإفريقية إلى سواحلها حيث ينتظرهم التجار الأوربيون الذين يقومون بشحنهم في السفن صوب أمريكا وجزر جمايكا وبعد وصولهم تأتي مرحلة البيع التي يقوم الملاك بفصل الأم عن ابنها والزوج عن زوجته ومن ثم يتم تسليمهم إلى البيوت ومالكي العبيد ليبدأ

مرحلة جديدة مليئة بالعذاب والاعمال الشاقة وسوء التغذية والعنف الجسدي والنفسي والخوف من المستقبل ، ويصف المؤرخ الاستعماري الإنجليزي هاري جونستون تلك العملية " بان الرقيق يشهد بالأثقال على كثوفهم مسببة جروحا في اعناقهم ، مع ما يتعرضون له من جوع وعطش وموت ، وتعرض الأطفال إلى القتل بدون رحمة للذين لا تستطيع أمهاتهم حملهم ، مع عدم تقديم أي معالجات طبية " . (حمدان ، 1983 ، 7).

- **العلاقة بين البعثات الأوربية والزعماء الإفارقة :**

كانت تجارة الرقيق تجري بين الوكلاء الأوروبيين والزعماء الإفارقة حيث يجري تبادل العبيد بمواد يجلبونها من أوروبا على راسها : قضبان الحديد وحلق الإذان والأقمشة والكحول والمواد الرخيصة ، و كان الساحل الإفريقي مقسما إلى قطاعات هي : (السنغال ، سيرإلبون ، غينيا ، ساحل العاج ،كواكوا ، ساحل الذهب ، وممالك آرد جودا ، بنين ، وساحل لوانغو ، أنغولا ، وعرفت كل منطقة بصنف معين من العبيد وبأسعار محددة في موانئ أوروبا وأمريكا ، فمثلا زنوج كايور عرفوا بعبيد القتال ، وزنوج البمبارا أغبياء ولطفاء وأقوياء ، وزنوج الكونغو مرحون وعمال جيدون وهم أفضل أصناف العبيد ويطلق عليهم (القطع الهندية) ،كما أنهم كانوا يعادلون عدد الأطفال بميزان ثلاث أطفال بعبدين ، في حين الأطفال الصغار ما يعادل طفلين بعبد واحد ، وكانت المعاملات تتم بطريقة المبادلة كما استخدمت العملات في بعض الأحيان مثلا (الكوري) ومسحوق الذهب وكذلك استخدمت الحبوب (سلاماني ، 2015 ، 217) ، وكانت عمليات البيع والشراء تتم بطريقة دقيقة حيث يفحص الرقيق من كل النواحي حيث يتم فحص الأعضاء للتأكد من سلامتها ، وبعد مسأومة متشددة يتم وشم الرقيق بالحديد الحمي على الصدر باسم مالكه وشهرته وبعد إتمام الصفقة يتم فصل الرقيق حيث يتم الإتيان بالرقيق الجديد عبر السفن مع أهلهم أو أزواجهم حيث تتم معاملتهم بشكل قاسي في مكان ضيق في السفينة في رحلات تدوم شهرين في عرض البحر في أجواء ملؤها المعاناة والموت والأوبئة ، وإذا انتفض الرقيق يتم قمعهم بالقوة والإعدام (صكار العاني ، 1989 م ، 95) ، ويظل ذلك الأمر أحيانا ارحم للرقيق من تلك المعاناة ، كم يتم القاء الرقيق المصابين بالمرض في البحر قبل وصولهم إلى الشواطئ الأوربية تحسبا لعدم بيعهم أو خوفا من دفع الضريبة عليهم ، ويتم فحص الرقيق في تلك الشواطئ من نواحي الأسنان والعيون وباقي الأعضاء ، وتتواصل معاناة الرقيق في رحلة جديدة مع سيدة الجديد فهو مجرد من حقوقه . (جوزيف كي ، 2000 م ، 336)، وظلت معانتهم مستمرة طوال القرون الثلاثة قبل القرن التاسع عشر حيث ظل التجار يتصرفون حسب أهوائهم دون ضغط أو محاسبة ، واستمرت تلك التجارة ، كما أن المستعمرين استنبطوا طرقاً آخرى مثل ما فعلت المجموعة الهولندية للهند الشرقية بجنوب أفريقيا حيث أسست نشاطات اقتصادية في شكل مزارع أوروبية ، حيث سيطر التجار الأوروبيون على الملكيات عن طريق القوة أو المقايضة بأشياء زهيدة مثل الزجاج والكحول التي تعود الإفارقة على شربه ، ولم تكن نية التجار الأوروبيين التوغل إلى أعماق القارة بقدر ما كان بقائهم على الساحل لتنظيم عمليات السطو والاستيلاء على الثروات الإفريقية باستخدام عمالهم البيض والسود لجلب أكبر الثروات من أجل بيعها ، وتمثلت هذه الثروات في الذهب والعاج والتوابل والرقيق حتى نهاية ق 18 م ولم يهتموا إلا

باحتلال المناطق الساحلية لاتخاذها مخازن وقواعد تموين غذائية وعسكرية ،كم عملت البعثات التبشيرية في التأثير على السكان مثل ما فعلت المجموعة الهولندية من خلال شرائها لمستعمرة الكاب من خلال اتفاقيتين سلميتين أعطت بموجبها المجموعة للزعماء الإفريقيين بعض السلع الأوربية . (الجمل ، 1989 م ، 43) .

إن استمرار السيطرة الأوربية في افريقيا جعلت السكان يرغبون في الثورة والتحرر من ذلك الاستبداد مما افرز العديد من الصرعات والحروب بين المستعمرين الأجانب والزعماء الإفارقة ، فهذه السلع والثروات سببت العديد من الصراعات بين البرتغاليين والانجليز والهولنديين والدانماركيين والسويديين والفرنسيين للاستيلاء على السفن المملؤة بالرقيق أو السلع الآخرى تعود لمنافسيهم ، ومن ثم بدأت نتائج الثورة الصناعية في أوروبا تلقي بظلالها في النصف الثاني من القرن 18 م فبعد ان كانت الأنظار تتجه إلى الاهتمام بتجارة الذهب والرقيق ، فأنها توجهت إلى المصادر الأولية والمنتوجات الصناعية ، لذلك اتجهت إلى إنشاء مشاريع زراعية في أفريقيا ، وبهذا ظهر ما عرف الاتفاقيات السلمية مع المجموعات التجارية الاستغلالية والتوغل في أعماق افريقيا لنهب ثرواتها وهنا احتدم الصراع الأوربي فيما بينهم منها الصراع الانجلو – الاسباني في منطقة (فرناندوبو) سنة 1779 م ، والحرب الأنجلو – هولندية حول كوت ديفوار (ساحل العاج) ما بين 1781 – 1783 م ثم الحرب الفرنكو – برتغالية في (كابيندا) سنة 1784 م والصراع الإنجليزي الفرنسي حول المستعمرات الهولندية في (الكاب) ما بين 1781 – 1795 م ، وترافق مع الصراعات ظهور شكل آخر من أشكال الصراع وهو التنافس بين تلك الدول في اكتشاف الموارد الجديدة في الأراضي الجديدة فظهرت الرحلات الكشفية ورحلات الاكتشاف . (سلاماني ، 2015 ، 223) .

- **موقف الأفارقة من الاستعمار البرتغالي :**

لم يكن تواجد البرتغاليين في منطقة شرق إفريقيا مرحب به من قبل السكان الأفارقة والعرب المقيمين لذلك قامت ضدهم العديد من الثورات هددت مركز سلطتهم ، وقد تطورت الثورات في شرق أفريقيا ضد المستعمرين البرتغاليين وتزعمها (مير على) 1580 م في مقديشيو وامتدت إلى ممبسة وموانئ شرق القارة ولقت هذه المقأومة دعم من قبل الدولة العثمانية التي استطاعت بفضلها من اخضاع المنطقة ما عدا مالندي ولم تستطع البرتغال القضاء على الثورة الا بعد الاستعانة بالقوة البحرية الهندية واستمالة قبائل زومبا وهم من البانتو وقد ساهم انضمامهم في استرجاع ممبسة للنفوذ البرتغالي وتم القبض على مير على وإعدامه .(**الجمل ، 1972 م، 171**).

هذه الأحداث ساهمت في اضطرار البرتغال إلى التركيز سلطتها في مناطق محددة من موزمبيق وما لندي واتخذوا مقراً لهم واقاموا حصنا قويا في ممبسة (قلعة يسوع) لتصبح مركزاً لسيادتهم لشرق القارة ، لذلك لم ينعم البرتغاليون بالاستقرار على الساحل ، واتخذ الصراع العثماني مع البرتغاليين على السواحل الشرقية للقارة بما فيها موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر صوراً متعددة ومنها دعم الدولة العثمانية للممالك الإسلامية المحيطة بهضبة الحبشة ، وظل الصراع مستمراً حتى منتصف القرن السابع عشرا حيث بدأت بوادر الضعف تعصف بالدولة العثمانية وكذلك البرتغال مما اضطرها إلى التنازل عن أملاكها في البحار الشرقية وانكمشت سلطتها في بعض

الأماكن المحصنة في موزمبيق وتم الاعتراف بسيادة العرب على المنطقة الواقعة شمال رأس ولجادو واقتصرت سيادة البرتغال على الجنوب وبعض الثغور الإفريقية في جنوب البحر الأحمر مثل ميناء مصوع ، ناهيك عن التنافس الأوربي المحموم حيث ظهرت هولندا كخصم للبرتغال لتحقيق أطماعها الاستعمارية وأعقبتها إنجلترا وفرنسا مما أدى في النهاية إلى تحطيم الاحتكار البرتغإلى لتجارة الشرق خصوصا بعد فقدانهم السيادة على المحيط الهادي والهند ، ومرجع ذلك إلى عديد الأسباب التي ساهمت في وصول الأمر إلى هذا الحد منها :

1- كان الدافع الديني هو رأس الحربة التي دفعت البرتغإليين للقيام بجهودهم في الكشف والاستعمار .
2- حققت البرتغال كشفاً مهماً وهو اكتشاف راس الرجاء الصالح مما مكنها من الوصول إلى الهند.
3- اقتصار الاستعمار البرتغإلى على السواحل دون التوعل للدواخل .
4- بناء القلاع على السواحل واتخاذها نقاط حصينة .
5- أحدث الاستعمار البرتغإلى هزة في نفوذ المسلمين في المحيط الهندي والبحار الشرقية وأثرت على الإمارات العربية في شرق إفريقيا .
6- احتكارها لتجارة الشرق ولسلع أمثال الذهب والفضة والرقيق .
7- نشاط الجمعيات التبشيرية وانغماسها في تجارة الرقيق .
8- أصبحت لشبونة مركزاً رئيسياً للسلع الإفريقية ومنتجات الشرق .
9- تعرض البرتغال للثورات المتعددة من العرب والإفريقيين . (الجمل ، 1972 م ، 182) .

وبالرغم من أن البرتغال كانت سباقة لغيرها من الدول الأوربية في مجالات الكشف والاستعمار الا أنها لم تجن ثمار ذلك فقد اقتصر نفوذها على مناطق موزمبيق وأنجولا وغينيا البرتغإلية ومرجع ذلك عديد الأسباب منها :

1- قلة الكثافة السكانية لهذا الدولة والذي لم يتعدى المليون نسمة في ق 15 / 16 وهذا منعها من توسيع مستعمراتها .
2- رؤية البرتغال للقارة الإفريقية على انها ممر للعبور نحو الشرق لذلك اكتفت بإقامة محطات تجارية فقط .
3- تضارب مصالح وأطماع البرتغإليين أنفسهم من تجار وأصحاب إقطاعيات مما أفقدهم الوحدة أمام أبناء تلك المناطق المستعمرة . (البرأوي ، 1961 م ، 33) .
4- تعرضها نفسها للاحتلال الاسباني سنة 1580 م والذي استمر 80 عاماً مع تنامي أطماع هولندا وإنجلترا في تلك الممتلكات . (الهام ، 1988م ، 61) .
5- هجرة المهاجرين الإفارقة للبرازيل باعتبارها مكان مناسب للزراعة .
6- سعت البرتغال بعد مؤتمر برلين إلى ضم الأقإليم بين مستعمراتها في أنجولا وموزمبيق لكنها اصطدمت بمصالح إنجلترا التي بسطت نفوذها في جنوب القارة .

لذلك لم تنجح مساعي البرتغال في كل تلك الأمور بل وانحسرت أملاكها في إفريقيا منذ القرن 19 في المناطق السابقة الذكر فقط . (دفي ، 1963 م ، 99) .

- **طبيعة حكم البرتغاليين في مستعمراتهم :**

كان النظام البرتغالي السائد في مستعمراتها (أنجولا ، موزمبيق ، غينيا) مبني على استغلالها إلى أقصى حد ممكن ، ومقاومة أي محاولة لتقويض ذلك الأمر بالقوة والقسوة والعنف مع الاستخدام المفرط في استغلال المواطنين الإفارقة بدون قيود أو احترام لأدميتهم ، وقد شكلت البرتغال وزارة للمستعمرات يشرف عليها وزير يعاونه مجلس أعلي للمستعمرات ومؤتمر عاماً كان يعقد كل ثلاث سنوات في لشبونة لمناقشة الأوضاع في تلك المستعمرات ، وكان الحاكم العام يدير المستعمرات بالشكل المدني والعسكري ويعاونه مجلس استشاري وعدد من الموظفين ، بالإضافة إلى ذلك هو مسئول عن الأمور المالية والأمن وتحسين أحوال المستعمرات ونشر التعليم ويساعده قاضي مختص بالأشراف على السلطة القضائية . (سليمان ، 2012 م ، 56) .

وتكونت عبر الوقت طبقة من الإقطاعيين الذين سعوا إلى الحصول على الثراء بكل الوسائل وأنظم إليهم أعضاء البعثات من الجزويت والبروتستانت في الحياة العامة ، واشتركوا في تجارة الرقيق وامتلاك الإقطاعيات ، بسبب عدم رغبة سكان البرتغال للهجرة إلى المستعمرات تم الاستعانة بالمجرمين والخارجين عن القانون واللصوص والمغامرين بغية تحقيق غايتهم فانحصرت جهودهم في تجارة الرقيق والذهب ، وبسبب عدم قدرتها على استغلال المستعمرات بشكل كامل عملت البرتغال على منح امتيازات لشركات تجارية أجنبية مثل شركة موزمبيق وشركة نياسا وشركة زمبيزيا وقد أسهمت في زراعة الأرز والسكر بغية سد حاجات المستعمرات وتوفير الأيدي العاملة في شركات التعدين البرتغالية في الترنسفال ، وقد عملت البرتغال على تطبيق العمل الإلزامي بحيث يتم شحن الإفارقة للعمل في مزارع الكاكاو في جزيرة سأوتومي وغيرها بعد إجبارهم بالقوة على توقيع عقود صورية عدت صورة جديدة من الرق والاستعباد ، ومع وصول سالازار لتولى وزارة المستعمرات في البرتغال عام 1930 م تغير الاسم إلى وزارة الأقاليم باعتبار أنها أراضي لا تتجزأ من الأراضي البرتغالية ورسمت لائحة سنة 1930م ودستور عام 1933 م يهدف إلى ربط اقتصاد المستعمرات بالدولة وإلغاء حق استخدام العمال بموجب عقد إجباري وقامت تلك السياسات على دعائم ذكرها جورج أميل ، (البرأوي ، 1961 م ، 33) ، وهي :

1- الشعور بمدي ضخامة المساحة الاستعمارية التي تحوزها البرتغال .

2- الشعور المقدس الديني الذي يحفزها باعتبارهم شعب الله المختار لنشر الرسالة المسيحية بين تلك الشعوب .

3- بذل كل الجهود لاستغلال الثروات المدفونة في تلك المستعمرات واستغلالها .

وفي سنة 1951 م صدر قانون آخر خاص بإدارة (الأقاليم البرتغالية فيما وراء البحار) **نصت مبادئه على :**

1-اعتبار جميع الأراضي الإفريقية الخاضعة للبرتغال جزءا لا يتجزأ من أراضيها واطلق عليها لفضة (المتروبوليتان) . (عودة ، 1959 م ، 200) .

2-تبعية أقإلسم ما وراء البحار (وزارة ما وراء البحار) ولوزيرها سلطة مطلقة يعأونه مجلس استشاري ولكل إقليم حاكم عام يدير شؤنه .

3-يعقد مؤتمر عام في لشبونة كل ثلاث سنوات برئاسة وزير أقإلسم ما وراء البحار للتشأور في أمور الأقإلسم

4-يمنع في هذه الأقإلسم تإلف الأحزاب أو العمل السياسي .

5-تشجيع الإفارقة على تعلم البرتغإلية واعتناق الكاثوليكية لمنحهم حق المواطنة البرتغإلية .

6-سمح القانون للإدارة البرتغإلية حف توريد العمال الإفريقيين للعمل داخل الأقإلسم تحت ستار ما سمي بعقود العمل . (سليمان ، 2012 م ، 58) .

7-وضع نظام عرف باسم (بطاقات الانتقال) داخل الإقليم بإذن من البوليس .

8-وضع نظام صوري لتمثيل الأقإلسم في البرلمان البرتغإلي وهذه الخطوة قصد منها القضاء على القومية الإفريقية في هذه الأقإلسم . (البرأوي ، 1961 م ، 98) .

- **الخدمات ووضعية الإفارقة في المستعمرات البرتغإلية :**

كانت النظرة السائدة للإنسان الإفريقي على أنه كائن أقل من الأوربي وان عليه العمل على رفاهية الأوربي، فالمستعمرات ينظر إلها على أنها أقإلسم منتجة لصالح الرجل الأبيض، حتي بعد صدور قوانين الغاء الرق تحولت إلى الرق الجديد وهو العمل الاجباري فظل الإفريقيون يرحلون للعمل حيث يريد الرجل الأوربي ، ولم يتقبل البرتغإلمون نظرة المسأواة مع الإفريقيين بل أن قانونهم الخاص بالمستعمرات نص صراحة علي تقسيم السكان إلى ثلاث فئات:

- فئة الوطنيين الذين لم يندمجوا في الحياة البرتغإلية .
- فئة الوطنيين الذي اندمجوا مع البرتغإليين ، والخلاسين وهم ثمرة التزأوج بين الأوربيين والإفريقيين .
- فئة الأوربيين وهم فئة قليلة دخيلة تمتعت بامتيازات على حساب الفئات الأولى .

- **الخدمات التي قدمت للأفريقيين :**

أ : الأراضي الزراعية :

حددت أجزاء بسيطة من الأراضي للأفريقيين لا يجوز نزعها منهم ، في حين تنزع منهم الأراضي خارج الحيز المذكور ويعوض بأراضي داخل الحيز تكافيها في المساحة وهذا اطلق عليه (المعازل) ، وأن كانت الأراضي الخصبة تحجز للمستعمرين الذين لا يكتفون بذلك بل يعتدون على أراضي الأفارقة المخصصة لهم . (البرأوي ، 1961 م ، 98) .

ب : الخدمات التعليمية :

تحملت الجمعيات التبشيرية والارسإليات تلك المهمة حيث كانت تدير مدارس وتنفق عليها مثل الإرسإلية الأمريكية في أنجولا والسويسرية في موزمبيق ، وأن كانت جهودها محدودة ، حيث كانت المدارس الأولية تسعي إلى تعليمهم اللغة البرتغإلية حيث وجد نظامان : الأول نظام تعليمي للسكان الإفارقة وآخر للأوربيين ، أما المدارس العليا فكانت مخصصة للمستوطنين ، وكانت نسبة الامية بين الإفارقة تصل إلى نسبة 99 % ، بسبب شعور البرتغإليين بأن انتشار التعليم يمثل خطراً على مصالحها . (**دفي ، 1963 م ، 146**) .

ج : الخدمات الطبية :

كذلك الحال وقع العبء الأكبر على الارسإليات ، وكانت الفرص مشابهة لوضع التعليم حيث لم يتمكن الإفارقة من الحصول على أفضلية في هذا المجال ، حيث خصصت المستشفيات وأماكن الرعية للأوربيين ، أما الأماكن المخصصة للأفارقة كانت تفتقر لأماكن العلاج المناسبة حيث لم يخصص لها أي دعم حكومي .

د : الوضع الاقتصادي :

وجهت كل الجهود في التنمية الاقتصادية في المستعمرات إلى إنتاج المحاصيل التجارية والصناعية ذات القيمة الخارجية في التجارة الخارجية ولم تراع المصلحة الإفريقية ، ولعل تقرير (هنري جلفأو)الذي كلفته الحكومة البرتغإلية والذي تحدث عن الوضع المأسأوي للمستعمرات البرتغإلية مما استدعي إلى هروبه وسجنه عام 1959 م ، ففي تقريره أشار إلى الحالة في أنجولا وموزمبيق وسوء الخدمات المقدمة من الدولة ، بالإضافة إلى الظروف السيئة التي يعيشها العمال الأفارقة من عدم حصولهم على أبسط الحقوق من الأجور أو المسكن المناسب ، وقد أشار إلى أن الأمر يعد بمثابة أبادة بشرية للسكان الإفريقيين . (الجمل ، 1972 م ، 206) .

- **نهاية حقبة الاستعمار البرتغإلى :**

بعد كل هذه المعاناة كان طبيعياً أن يتحرك المواطنون الأفارقة في المستعمرات البرتغإلية في وجه المستعمر المستغل الذي إذاقهم الظلم والعذاب والاستعباد ردحا طويلاً من الزمن ، لذلك بدأ السكان في تحين الفرصة المناسبة للقيام بذلك ، وبالرغم من الاستعمار البرتغإلى سبق غيره من المستعمرين فأنه لم يعاني المشاكل الكثيرة التي عانتها باقي الدول التي سلمت بحق المستعمرات في الاستقلال ، فقد ظل البرتغإليون متمسكين بمستعمراتهم حتى بعد تصفية الوجود الاستعماري لباقي الدول لذلك كانت تخشي من امرين:(سليمان، 2012 م ، 61).

- وصول أخبار حركات التحرر القومي الإفريقية التي اجتاحت القارة بعد الحرب العالمية الثانية .
- الرأي العالمي ممثلاً في الأفراد والجماعات والمنظمات الدولية .

وبالرغم من جهودها في منع ما ذكر وبالرغم من السياج الذي فرض على المستعمرات ، تحركت حركات الاحتجاج والاستنكار ضد السياسة البرتغإلية ، فمنذ عام 1948 م توالت تلك الحركات والتي ووجهت بالقمع والتقتيل والزج في السجون ، فقد واجهت البرتغال حركة ثورة 4 فبراير 1962 م بالعنف والوحشية ضد الشعب الإفريقي أثناء مهاجمة السكان لسجن المدينة لآخراج المسجونين منه فتم اعدام السجناء السياسيين في سجن

لوندا ودفنهم في قبور جماعية ، وفي 15 مارس من نفس السنة أضرب عمال المزارع البن وتكاتف معهم الفلاحون وعمال العقود الإجبارية فقامت السلطات الاستعمارية البرتغالية بصد ذلك بكل وحشية فأرسلت الجنود لقمعهم وقدر عدد القتلى بحوالي مائة ألف وهروب حوالي 130،000 ألف إلى الكونغو ، وبالرغم من كل ذلك لم تنجح في مواجهة الثورة المندلعة في ربوع أنجولا والتي بدأت في حرب العصابات في الأدغال مستنزفة السلطات الاستعمارية يومياً بالرغم الفارق في العدة واعتاد ، وانتشرت الثورة على المستعمرين في كل مستعمرات البرتغال ، ويعزوا إلى أنجولا السبق في تلك الحركة لجملة من الأسباب :

1- ما تعرضت له أنجولا جراء تجارة الرقيق ، حيث عرفت بالأم السوداء (Black Mother) ، وقد مارست الشركات الاحتكارية في أنجولا صنوفاً من الاسترقاق لا تختلف في المظهر عن أشكال الاسترقاق السابقة ، بل أنها دفعت الرغبة المتزايدة للأيدي العاملة في مزارع البن والقطن والقصب في البرازيل وسأوتومي .

2- انفصال البرازيل عن التاج البرتغالي في منتصف ق التاسع عشر .

3- صلة الكثير من القبائل في أنجولا مع قبائل الكونغو سمح لها بمعرفة أخبار حركة المقأومة في الكونغو وانتقالها إليها بسرعة .

4- وجود خط سكة حديدية ينقل النحاس بين كاتنجا إلى ميناء لوندا في أنجولا سمح بوصول أخبار المقأومة.

5- نجاح الثورة في الكونغو في الحصول على الاستقلال سمح للعناصر الوطنية في أنجولا بالشعور بنيل حريتها مثلهم ونيلهم حقوقهم الوطنية والتمتع بخيرات بلادهم .

6- ظهور عناصر وطنية افريقية مثقفة ساهمت في ظهور الأحزاب والحركات مثل حركة اتحاد شعوب أنجولا والحركة الشعبية لتحرير أنجولا . (الجمل ، 1972 م ، 214) .

إضافة إلى مساعي الصحفية التي نددت بسياسة البرتغال الاستعمارية ومع مساندة الوطنيين الأفارقة والأسيويين لإخونهم في الأمم المتحدة ، ومنذ عام 1961 م أصبحت قضية المستعمرات معروضة على جدول الأمم المتحدة وقد تقرر تشكيل لجنة لتقصي الحقائق مع رفض البرتغال التعأون معها والسماح لأعضائها بدخول أنجولا عليه فقد وجهت لها انتقادات لاذعة لسياستها الاستعمارية ، أما منظمة الوحدة الإفريقية فقد ناقشت منذ قيامها في مايو 1963 م قضية المستعمرات البرتغالية واتخذا قرارات مساندة للوطنيين في كفاحهم ضدها ، وفي مؤتمرها الثاني بالقاهرة عام 1964 م اتخذت قرار بمقاطعة الدول الإفريقية للبرتغال لإصرارها على رفض الاعتراف بحق الشعوب التي تخضع لها بالتحرر وتقرير مصيرها في الاستقلال ، ومع سقوط حكم سالازار في البرتغال تحت الظروف الاقتصادية وأعقب ذلك تحرير المستعمرات فاضطرت الحكومة الجديدة الاعتراف بحق الشعوب المستعمرة بالاستقلال ، فأعلن عن استقلال موزمبيق في 25 يونيو 1975 م ، وأنجولا في نوفمبر 1975 م . (سليمان ، 2012 م ، 64) .

- **الخاتمة :**

تعتبر ظاهرة انتشار تجارة الرقيق في القارة الإفريقية من أخطر الظواهر التي عانت منها القارة على مدي العصور المختلفة ، وقد استفحلت هذه الظاهرة في بدايات العصر الحديث حيث بدأت رياح التغيير تجتاح أوروبا الغربية وتؤثر في نظامها الاقطاعي مترافقاً مع بروز حركات الكشوف الجغرافية التي تطورت إلى ظهور حركة الاستعمار واسترقاق سكان المستعمرات وشحنهم إلى أماكن بعيدة .

وقد لعبت البرتغال دورا كبيرا في انتشار هذه الظاهرة اللأنسانية في أوآخر القرن الثالث عشر أي منذ نشأة العلاقات التجارية بين موانئ المتوسط والموانئ على الساحل الإفريقي للمحيط الأطلسي وهي منطقة غرب القارة وأصبحت لشبونة العاصمة البرتغالية بفضل موقعها في منتصف هذا الطريق ميناء بحريا مهماً ، وفي الرابع عشر ظهرت الاساطيل البرتغالية القوية في المحيط الأطلسي واخذت في التوسع الاستعماري متخذا من ميناء سبته المغربية أولى المحطات ومن بعدها ميناء لوندا لشحن الرقيق .

هذه التجارة التي تعد من أقسى المآسي التي طالت البشرية بشكل عام ، وأصحاب البشرة السمراء بشكل خاص فهم كانوا المستهدفين من مأساة الاسترقاق والعبودية بعد أن أوقفت نموهم الفكري وأفسدت نسيجهم الاجتماعي وتسببت في خلق عقدة الدونية بينها وبين شعوب المعمورة .

فاسترقاق الملايين من الأفارقة بدون تميز بين طفل صغير أو امرة أو رجل من قبل المستعمرين الأوربيين ترتب عليه تدمير البنية الاجتماعية الإفريقية وتفكيك الأسر بعد اخذ اكبر عدد من الشباب القادرين على التحمل وحرمانهم من أسرهم وقبائلهم ، ومع استنزاف مقدرات وخيرات القارة مما أدي إلى تراجع الإنتاج الزراعي بشكل رهيب وبقيت الموارد بدون استغلال مع زوال العديد من المهن والحرف الإفريقية التي اشتهرت بها العديد من القبائل الإفريقية والتي كانت تعتبر من مقومات التقدم الحضاري لإفريقيا ،

بفضل تجارة الرقيق حققت الدول الاستعمارية الأوربية باستغلال الإنسان الإفريقي ارباحاً طائلة مادية واقتصادية عرفت من خلالها ازدهارا وتطوراً اقتصاديا واجتماعيا بما عرف بالثورة الصناعية التي لولا الإفارقة ما تم بناء تلك الإمبراطوريات الاستعمارية ، لكنها في المقابل حملت معها انعكاسات خطيرة على بنية المجتمعات الإفريقية وعلى جميع الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية والإنسانية بعد أن وصل مدي الاستنزاف 80 مليون انساناً رحلوا من بلدانهم إلى أوروبا وامريكا .

يجب ان نعترف أن هذه التجارة كانت لها ابعاد خطيرة تمثلت في :

- النقص الفادح في عدد سكان أفريقيا مما أدي إلى تدمير البناء السكاني بعد أن تم نقل الملايين من الجنسين إلى ما عرف بالعالم الجديد .
- الأساليب الهمجية التي ارتكبت أثناء تلك التجارة من حرق القرى وتدمير مساحات شاسعة من الأراضي مع ما يضاف إليها من نقل الامراض الجديدة التي نقلها الأوربيون أنفسهم ولم تكن المنطقة تعرفها قبل وصولهم إليها .

- الفوضى والحروب القبلية واستخدام الأسلحة النارية في عمليات القنص وتعقب الرقيق التي أدت إلى فقر الايدي العاملة والإنتاج مما ادي إلى انهيار العديد من الإمارات الإفريقية .
- تصاعد أطماع العديد من الزعماء الإفارقة للحصول على مكاسب لجمعهم الرقيق مما أدى إلى نشوب الكثير من الحروب ساهمت في تدمير وقتل الكثيرين وخلق حالة من عدم الاطمئنان بين السكان المحليين.
- الاسترقاق خلق نوعاً من الانتهاك للحرمات والمقدسات وأفسد اخلاف الكثير من حكام القارة من خلال الرشوة للحصول على الرقيق .
- تدمير الحياة الاجتماعية وانتشار الجهل والفقر والامراض التي لن تفق منها القارة تماما حتى الان .
- حتة بعد تحرر الرقيق تركت القارة بلا تجارب ولا تعليم يغنيها عن معالجة تلك الحقبة الدامية التي استمرت قروناً ، فخلقت فيهم التبعية والخوف التي أوجدت العجز والإهمال اللتين تميز بهما للأسف الكثير من الأفارقة حتى يومنا هذا .

في النهاية لابد من الاعتراف من أن القارة الإفريقية نكبت بعد حركة الكشوف الجغرافية وقيام تجارة الرقيق في أعز وأثمن ما تملك وهو ساكنيها الذين تعرضوا إلى الإبادة طوال ثلاث قرون ونصف ، حققت فيها أوروبا أرباحاً خيالية من خلال هذه السلعة التي بنيت عليها الدول الاستعمارية اقتصادها ورخاءها ، فاشتهرت العديد من الموانئ ومدن أمثال (لشبونة في البرتغال ، وليفربول في إنجلترا وغيرها) على دماء وعظام الرقيق الإفريقي .

- **قائمة المراجع :**

- البرأوي . راشد ، 1961 م ، الكونغو وحقيقة مؤامرة الاحتكار ، القاهرة .
- الجمل. شوقي عطاالله – أو . عبدالله ، 1987 م ، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، القاهرة : المكتب المصري لتوزيع المطبوعات .
- الجمل. شوقي عطاالله . 1971 ،كشف إفريقيا واستعمارها ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية .
- الجمل . شوقي عطاالله . 1972 م ، تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية .
- الهام . على ذهني ، (1988 م) ، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي، 1850 م – 1914 م ، ط1 ، الرياض : دار المريخ للنشر .
- جوزيف . كي زيربو ، 2000م ، تاريخ إفريقيا السوداء ، ليبيا : الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان .
- حمدان . جمال ، (1983 م) ، استراتيجية الاستعمار والتحرير ، القاهرة : دار الشروق .

- دفي . جيمس ، 1963 م ، الاستعمار البرتغالي في إفريقيا ، القاهرة .
- زغلول . سعد عبد ربه ، 1973 م ، تجارة الرقيق وأثرها على استعمار غرب إفريقيا ، المجلة التاريخية المصرية ، القاهرة : مطابع سجل العرب ، مجلد 20 .
- سلاماني . عبد القادر ، 2014 – 2015 م ، تجارة الرق في إفريقيا الغربية وانعكاساتها الاستعمارية على السنغال بين القرنيين السادس عشر والتاسع عشر ميلادي ، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية العددان ، (5 ، 6) .
- سليمان . محمد عبد القادر ، 2012 م ، إفريقيا من القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الثانية ، بنغازي : منشورات جامعة بنغازي .
- شوقي عطالله . الجمل ، 1989 م ،" دور المجتمع الغربي في تطور تجارة الرق " ، ندوة في مسالة الرق في افريقيا ، بحوث ودراسات ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس 27- 29 جوان 1985م .
- صكار العاني . خطاب ، (1989 م)، دور حركات الاستكشاف البحري والحركة التجارية الأوربية في تجارة الرق ، ندوة في مسالة الرق في افريقيا ، بحوث ودراسات ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس 27- 29 جوان 1985م .
- ظاهر . مسعود ، (1989 م) ، " موقف الرأسمإلة من الرق ، دراسة في المنهج ، ندوة في مسالة الرق في افريقيا " ، بحوث ودراسات ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس 27- 29 جوان 1985م .
- عاطف . محمد ، (2002 م) ، أشهر الاكتشافات الجغرافية في العالم ، ط1 ، مصر : دار اللطائف للنشر والتوزيع .
- عودة . عبد الملك ، 1959 م ، السياسة والحكم في إفريقيا ، القاهرة .
- فيج . جي دي ، (1982) ، تاريخ غرب إفريقيا ، ط1 ، القاهرة : دار المعارف .